

وفي الصفحات القليلة التالية سوف نقدم مخططاً عاماً لتواريخ الأقليات اليهودية في العالم عبر التاريخ، نحاول ان نطبق فيه وجهة النظر السابقة. ويجب ملاحظة ان مخططنا هو، في نهاية الامر، مخطط وحسب، وبالتالي يتسم بالتبسيط والتجريد.

والهدف من مخططنا ليس سرد تواريخ الأقليات ولا تزويد القارئ بمعلومات لا يعرفها، وانما طرح اطار ومصطلحات تصلح لدراسة هذه التواريخ. وقد استبعدنا كثيراً من الاقليات اليهودية، مثل الفالاشا في الحبشة وبنو اسرائيل في الهند، وغيرهما من الأقليات، حتى يتسنى لنا وضع مخططنا ضمن مسار التاريخ الانساني العام، هذا على الرغم من ان تواريخ الاقليات يدعم وجهة نظرنا الراضة لفكرة التاريخ اليهودي الموحد.

وفي مخططنا، وجدنا انفسنا نؤكد تلك العناصر في تواريخ الاقليات التي تفسر ظهور المسألة اليهودية في شرق اوربا والحركة الصهيونية والمستوطن الصهيوني، وهذا يعود الى انتمائنا العربي ولا شك. ولكن ثمة اسباباً موضوعية أكثر أهمية، وهي اننا، عادة، لا ننظر الى المادة مجردين من تجربتنا في الحاضر، فنحن نعود الى التاريخ لفهم انفسنا ومن حولنا، والصهيونية والمستوطن الصهيوني اصبحا الحقيقة الاساسية والمحورية بالنسبة الى الأقليات اليهودية في العالم - سواء أشاءوا ذلك أم أبوا - وينطبق هذا على المؤيدين للصهيونية والمناهضين لها. ولكن، مع هذا، يحاول المخطط ان يبتعد عن التسميات اللاهوتية او الايديولوجية القديمة، وذلك اما باستبعادها او بوضعها داخل اطار التاريخ العالمي، ويحاول ان يفسر التغيرات والتحولات التي تطرأ على الاقليات اليهودية، انطلاقاً من التاريخ الانساني الحقيقي وليس التاريخ اليهودي الوهمي.

تاريخ العبرانيين وتواريخ الاقليات اليهودية: مخطط أولي

يستخدم الاصطلاح السابق للإشارة الى التاريخ الواقعي، او الانساني، للجماعات والأقليات اليهودية. وهو يختلف عن تاريخ العقيدة اليهودية بكل مدارسها واتجاهاتها وشيعها وفرقها، على الرغم من ارتباط الواحد منهما بالآخر؛ كما ان ليس له علاقة كبيرة بالتاريخ المقدس، او التوراتي. ونحن نقسم هذا التاريخ الى مرحلتين اساسيتين، ثم نقسم كل مرحلة الى فترات عدة:

(أ) المرحلة السامية السديمية: وهي المرحلة التي شهدت الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الرافدين والشام ويمكن تقسيمها الى:

□ فترة الآباء (هجرة ابراهيم ١٩٩٦ أو ١٨٠٠ ق.م. الى فلسطين، ثم هجرة يعقوب، ثم يوسف الى مصر ١٧٢٠ ق.م.). ولا يعرف سوى القليل عن تنظيم العبرانيين، الاجتماعي والسياسي، في هذه الفترة او عن انجازاتهم الحضارية، ان وجدت. ومع هذا، يبدو أنهم كانوا من البدو المتنقلين الذين يعيشون على اطراف المدن وينتقلون على طريق التجارة الرئيسية. ويمكننا القول ان قيادتهم السياسية كانت بدوية هي الاخرى، وان عباداتهم كانت لا تختلف كثيراً عن العبادات السامية المنتشرة في منطقة الشرق الادنى القديم، حيث يرتبط الاله بالقوم الذين يعبدونه ويكون مقصوراً عليهم.

□ فترة القضاة: وتبدأ بخروج موسى من مصر امام جيش فرعون (١٢٨٠ ق.م.)، ثم يأتي، بعد ذلك، التسلل العبراني الى كنعان (١٢٥٠ ق.م.) تحت قيادة يوشع بن نون